حزب الإخاء الوطني:

ألّفَ في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٠، من قياداته: ياسين الهاشمي، ورشيد عالي الكَيلاني، وحكمت سليمان، هدف الحزب إلى:

أ. تنبيه الشعب بالأخطار المحدقة به من الناحية السياسية والإدارية.

ب. تكوين رأي عراقي عام لمكافحة كُلّ ما من شأنه أَنْ يشوب الاستقلال ويخل بالوحدة الوطنية.

ت. السعي لتحقيق سيادة حقوق العراق، وحماية مصنوعاته، واستثمار موارده لخير أبنائه.

كانت جريدة (البلاد) لسان حاله، وفي ٢٣ تشرين الثاني ١٩٣٠ كوّنَ قادته مع حزب الوطني العراقيّ كتلة معارضة لوزارة نوري السعيد، والمعاهدة العراقيّة – البريطانية عام ١٩٣٠، عرفت تلك الكتلة بـ(كتلة التآخي)، وفي آب ١٩٣١ أَصدر حزب الإخاء الوطني جريدة (الإخاء الوطني)[٢١٢].

تقويم الأحزاب:

عرفت الأحزاب التي ظهرت في عهد الانتداب بأَنَّها كانت متشابهة إلى حدّ كبير، وذلك كونها أكدت جميعًا على:

أ. تحقيق الاستقلال التام للعراق.

ب. التحرر من الانتداب.

ت. دخول العراق إلى عصبة الأمم.

ث. لم تولِ تلك الأحزاب القضايا القومية، ولاسِيَّمَا الوحدة العربيّة عنايةً واضحةً، فكانت أحزاب قطرية أو إقليمية، ولم تتناول برامجها معالجة

---

(٢١٢) فاضل حسين وآخرون، تاريخ العراق المعاصر..، ص٢٩.

القضايا الاقتصادية والاجتماعية، على الرغم من دعوات بعضها للعناية بالزراعة.

ج. كانت أَغلب تلك الأحزاب قائمة على العلاقات الشخصية بين أعضائها.

ح. مناهجها شبيهة بمناهج الوزارات التقليدية.

خ. اقتصر عملها على المجالس النيابية.

د. أهدافها لا تعدو الوصول إلى الحكم.

ذ. كانت تنهار بسرعة، وذلك بسبب: تسلط الحكومة وإرهابها، وظهور خلافات بين أعضائها، فضلًا عن انحياز بعض عناصرها إلى جانب الحكومة والاشتراك بالوزارات، كما لم يكن لها قواعد جماهيرية واسعة.

وعلى الرغم من كُلّ تلك النقاط والملاحظات بشأَن الأحزاب السياسية في عهد الانتداب، إلَّا أَنَّها أدت دورًا لا يمكن نكرانه في تطور العراق السياسي عن طريق تهيأتها للرأي العام، وحثهُ على المطالبة بحقوقه المشروعة، مثلما عملت على تقوية الوعي الوطني في أَغلب مناطق العراق.

البدايات الأولى للاشتراكية في العراق:

يعد روبرت اوون البريطاني رائد الاشتراكية الحديثة (١٧٧١–١٨٥٨) وقد عاصره كارل ماركس الذي نشر بالمشاركة مع فردريك انغلز البيان الشيوعي ١٨٤٨، ونشر كتابه رأس المال (١٨٦٧) وقد نشأت أحزاب سياسية على وفق مبادئ ماركس في أكثر الدول الأوروبية باسم (الحزب الديمقراطي الاشتراكي)، اما في بريطانيا فكانت هناك (الجمعية الفابية) الاشتراكية والتي كان من أهم قادتها برناردشو، ومن المفيد ان نفرق

بين الاشتراكية والشيوعية قبل الدخول في بدايات الفكر الاشتراكي في العراق.

١. دعا الحزب الديمقراطي الاشتراكي الروسي (الشيوعي فيما بعد) إلى السلام ضد الحرب بينما وقفت الأحزاب الديمقراطية الاشتراكية الأخرى إلى جانب حكوماتها للدفاع عن الوطن خلال الحرب العالمية الأولى.
٢. كانت الأحزاب الديمقراطية الاشتراكية الأوروبية أحزابًا وطنية قومية بينما دعا الحزب الديمقراطي الاشتراكي الروسي إلى الأممية الشيوعية.
٣. تمسكت الأحزاب الديمقراطية الاشتراكية الأوروبية بالديمقراطية كأسلوب للعمل السياسي، في حين اتخذ الحزب الشيوعي الروسي أسلوب العنف.
٤. عملت الأحزاب الاشتراكية على القضاء على الاستغلال لمصلحة العمال والفلاحين وتقليل الفوارق ولكن الحزب الشيوعي دعا إلى إقامة حزب لا طبقي خالٍ من الاستغلال تتلاشى فيه الدولة[٢١٣].

آمن بعض من الشباب العراقي، وتحديدًا في عشرينيات القرن العشرين، بالفكر الاشتراكي[٢١٤]، وراحوا يطرحون آرائهم في الإصلاح وفق

---

(٢١٣) فاضل حسين، الفكر السياسي في الفكر العراقيّ المعاصر ١٩١٤-١٩٥٨، معهد البحوث والدراسات التاريخية، بغداد، ١٩٨٤، ص٨٣-٨٤.

(٢١٤) عن بدايات الفكر الاشتراكي أكد بعض المصادر على أَنَّ صحيفة "العرب" التي أصدرها البريطانيون بعد احتلالهم بغداد قد أسهمت بإيصال بعض الأفكار الشيوعية إلى العراق بقصد أو بدون قصد من خلال نشرها الأخبار العالمية، وأمسى بعض العراقيين يعلمون بعض الأخبار عن المتغيرات داخل العراق السوفيتي، وكان للثورة الشيوعية صدى عند العراقيين، ولاسِيَّمَا النجفيين، وذلك بسبب تواجد الزوار الإيرانيين، فضلًا عن وصول أعداد من صحيفة "حبل المتين" الهندية، حتّى أَنَّ الصحفي النجفي محمد عبدالحسين قد تأثر بالشيوعية إثر رجوعه من إيران عام ١٩١٨، وكتب في حينها "أَنَّ الحركة الشيوعية قوّة

الحل الاشتراكي ودخلوا في نقاشات حول حرية المرأة، إلَّا أَنَّ تلك الجماعة لم تتبلور أفكارها لتنتج حزبًا آنذاك، وإذا ما أردنا إلى ان نتعرف إلى عدد من الشخصيات الذين كونوا تلك الجماعة فيأتي من بينهم حسين الرحال، ولد عام ١٩٠٢ في بغداد وكان والده ضابطًا في الجيش العثماني، تعلم الفرنسية في المدرسة اللاتينية في بغداد، نقله أبوه إلى استانبول فدخل المدرسة الثانوية، ثمَّ أرسل إلى ألمانيا عام ١٩١٦ ودخل المدرسة الهندية في برلين، ويقال انه كان متفوقًا على أقرانه الألمان هناك، تولدت لدى الرحال فكرة الجمهورية وكانت بداية التفتح على الفكر المتحرر، كما وأخذ يتطلع على الصحف الألمانية التقدمية والتي تعرف من خلالها على الفكر الاشتراكي، وجاءت الثورة الألمانية في برلين عام ١٩١٨ لتؤثر بشكل مباشر على أفكار الرحال، إذ عرف مجريات الثورة عن قرب وكان له أصدقاء ألمان مؤيدين للثورة، ذهب وبصحبة بعضهم إلى المناطق التي سادتها الثورة وشاهد العمال وتعرف على حماسهم في الوقت الذي شاهد الجنود وهم يرفعون شاراتهم العسكرية من خوذهم ليستبدلوها بشارات الثورة الحمراء[٢١٥]، كما واخذ يطالع بعض النشرات ومنها ما حمل اسم (حكومة المجالس)، في الوقت الذي طالع جريدة

لا تُقاوم"، وهناك من أشار إلى أَنَّ صحيفتي ثورة العشرين في العراق "الفرات" و"الاستقلال" على الرغم من أَنَّهما كانتا مهتمتين بالحرب، إلَّا أَنَّهما قد نشرتا بعض الأخبار عن جريدة "الرعد" السورية التي نقلت أفكارًا بلشفية، فضلًا عن رسائل لينين وتروتسكي اللذان اعترفا باستقلال العرب، وأشارت تلك الجريدة إلى أَنَّ المسلم يصلح لتلك الأفكار، ويمكن اعتناق الشيوعية للخلاص من الاستعمار. للمزيد ينظر: حيدر علي طوبان، الحركة الشيوعية في الصحافة العراقيّة ١٩٢١-١٩٥٨، أطروحة دكتوراه، كليّة التربيّة – الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠١٦، ص٨٢.

(٢١٥) قيس إدريس جاسم علي، حسين الرحال ونشاطه الفكري والسياسي في العراق (١٩٠١-١٩٧٩)، رسالة ماجستير، كليّة التربيّة للعلوم الإنسانية – جامعة تكريت، ٢٠١٧، ص١٤.

العلم الأحمر فضلًا عن الجريدة البرلينية وكانت تلك الصحف تزخر بالأفكار الاشتراكية. وبعد إعلان الهدنة عام ١٩١٩ خيرت الحكومة العثمانية طلابها في ألمانيا بين البقاء وإكمال دراستهم على نفقتهم الخاصة وبين العودة إلى استانبول، فاختار الرحال العودة قبل ان ينجز دراسته مبررًا ذلك بعدم إمكانية التمويل الخارجي لَهُ[٢١٦].

جاءت رؤية الرحال للاشتراكية مستندة إلى العدل الاجتماعي أو البر بالفقراء والعطف عليهم، فالظروف غير الطبيعية التي كانت تسود ألمانيا آنذاك لم تتح له إمكانية الاطلاع وبشكل دقيق على الأفكار الاشتراكية الأمر الذي لم يجعل له أسس ثابتة وربما لم تكن لديه تلك الإمكانية الفكرية التي تتيح له استيعاب الفكرة كما يبدو أَنَّهُ لم يدرسها بعمق ووفق خطة منظمة، إذ بعد أَنْ عاد إلى بغداد ١٩١٩ لم يظهر في البداية أي نشاط واضح في مجال الفكر الاشتراكي أو الدعاية له حتّى الذين كانوا على مقربة منه خلال تلك الحقبة لم يفهم منهم الفكرة الاشتراكية بوضوح، وأيدت ذلك السيدة أمينة الرحال عندما أشارت إلى ان حسين الرحال كون في ألمانيا صورة سطحية عن الاشتراكية وعلى ذلك الأساس فإن الرحال كان قد بذلك جهودًا على المطبوعات ذات المضمون الاشتراكي، ثم اخذ يحاول الحصول على الكتب الأجنبية التي روجت للفكرة الاشتراكية، واستطاع الرحال من إقناع السيد محمود حلمي صاحب المكتبة المصرية في بغداد باستيراد النشرات الاشتراكية عن طريق وكلائه في الخارج، وفعلًا حصل الرحال على بعض النشرات عن طريق حلمي، وكانت تصدرها دور نشر في

(٢١٦) عبدالرزاق مطلك الفهد، رواد الفكر التقدمي في العراق، ط١، مكتبة الغفران، بغداد، ٢٠٠٨، ص٤-٧.

فرنسا، وقرأ الرحال بعد عودته إلى العراق (الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية) للينين، ثمَّ كتاب (الدولة والثورة)، كما استطاع الحصول على جريدة (اللومانتية) وبعض المجلات ذات الفكر الاشتراكي، مِمَّا زادت من قناعته بالفكر الاشتراكي[٢١٧]. وأثرت (مس كار) المُدرسة الأمريكية تأثيرًا واضحًا آنذاك بتوجيه الطالبات نحو الفكر الاشتراكي وعرف عن المُدرسة الأمريكية ميولها للاشتراكية، وقامت بحث الطالبات على قراءة الصحف المحلية والاهتمام بسياسة العراق، وقد أثرت مس كار على عدد من العراقيات منهن: سعدية الرحال زوجة حسين الرحال، إِلَّا أَنّ تلك المدرسة وبعد أَنْ عرفت السلطات بنشاطها استغنت عن خدماتها فغادرت العراق بعد سنة من وصولها[٢١٨].

لم يكن الرحال قد فهم الاشتراكية بمفهومها العلميّ، إِلَّا أَنَّهُ كوّنَ عنها فكرة مكّنته من أَنْ يؤثر بعددٍ من الشباب داخل العراق ومن الجدير بالذكر أَنَّ الصحافة العراقية آنذاك، ولاسِيَّمَا جريدة العراق قد شنت هجومًا على جوهر المبادئ الاشتراكية على الرغم من اهتمام الاشتراكية بالعمال والفئات الكادحة، وحينما عاد الرحال التقى بمجموعة من الشباب، سرعان ما كونوا حركة ذات نشاط ثقافي ركزت على الفكر التقدمي الاشتراكي وضمت المجموعة الأولى التي جمعها ذلك الفكر من حسين الرحال وعبدالله جدوع ومحمود مُحَمَّد السيد ومصطفى علي وإبراهيم القزاز وسليم فتاح ولم يكن بعضهم قد آمن بالفكر الاشتراكي بصورة قاطعة، وكان سليم فتاح شخصية تقدمية علمية غالبًا ما كان يدخل بنقاش حاد أو معارض لبقية الزملاء في المجموعة حتى عكس بذلك بأَنَّهُ لا يؤمن إيمانًا كاملًا بالأفكار

---

(٢١٧) المصدر نفسه، ص١٣.

(٢١٨) للمزيد من التفاصيل ينظر: قيس إدريس جاسم علي، المصدر السابق، ص٤١.

الاشتراكية، أَمّا إبراهيم عبدالجبار فكان ينظر إلى الاشتراكية من منظور ديني ويفهم العدالة على أساس إسلامي، غير أَنَّ الرحال وجدوع وأحمد السيد ومصطفى علي كانوا يمثلون الجماعة المؤمنة بالفكر الاشتراكي ودعوا إلى إصلاح المجتمع وفق الحل الاشتراكي، وراحوا يطالعون الصحف والمجلات الألمانية وغيرها التي تدعم الحركات الاشتراكية، ومن نشاطات الرحال إصداره (الصحيفة) في ١٨ كانون الأول عام ١٩٢٤[٢١٩]. وأهم ما كانت تطرحه هو الفكر الاشتراكي بصورة غير مباشرة[٢٢٠]، إذ ان الظروف السياسية كانت لا تسمح بحرية النشر في ذلك الاتجاه، وأكثر ما طرحته المجلة هو فكر اقتصادي ذو ملامح اشتراكية ونشرت الجماعة في العدد الأول من الصحيفة مقالًا بعنوان (التطور ناموس عام) سعوا من خلاله تهيئة أذهان القراء للأفكار التقدمية، فضلًا عن مقالات ومواضيع تحدث بعضها العمال وقلة أجورهم وظروف عملهم القاسية، كما هاجمت الصحيفة في بعض مواضيعها الأغنياء المترفون الذين كانوا يعيشون على كدح الفقراء وناقش كتابها الفكر الاشتراكي في مصر وحلل كتاب سلامة موسى. ومن المفيد أَنْ نشير إلى أَنَّ الصحيفة توقفت لأسباب مالية ثم عادت للصدور في عام ١٩٢٧ وبمواضيع أكثر دقة وحماسة الأمر الذي يجعلها واحدة من الصحف التقدمية التي عبرت عن فكرة الجماعة، واستطاع الرحال من ان يصدر جريدة (سينما الحياة) التي ركزت على التطور الاقتصادي والاجتماعي[٢٢١].

---

(٢١٩) المصدر نفسه، ص٥٥، ٧٩.

(٢٢٠) حيدر علي طوبان، المصدر السابق، ص١٧٤. وأكد المصدر أَنَّ الأفكار الشيوعية كانت تصل إلى العراق بعدّة طرق، منها الصحف. ينظر: المصدر نفسه، ص٨٢-٨٣.

(٢٢١) عبدالرزاق مطلك الفهد، المصدر السابق، ص٨. تقلد الرحال وظيفة وكيل مدير عام وأحيل على التقاعد عام ١٩٦٣ وفي عام ١٩٦٦ انتقد مسيرة الحزب الشيوعي العراقي في تصريح لجريدة النهار البيروتية، وكانت وفاته في ١٣ نيسان ١٩٧٣.